

الأسرة الصفوية ونشر التشيع في إيران

جمشيد معظمى صحيفة (الاختيار الإيرانية) 8/4/2004

هذا مقال إيراني شيعي يشرح حقيقة استيلاء الشيعة على إيران بعد أن كانت سنية وما هي الممارسات التي قاموا بها لتحويل السنة إلى شيعة في إيران وأن ذلك كان بالقوة والقمع ولا يخلو المقال من بعض الأخطاء مثل عدد السنة في إيران في بداية القرن الثامن هجري.

ويتضح من المقال النزعة التوسعية عند الدول الشيعية.....الراصد.

يعرف الشيعة بأنهم مؤيدو وتابعوا الإمام علي وأولاده. ولقد حاول الشيعة على مدى عدة قرون أن يجعلوا المذهب الشيعي مذهباً رسمياً داخل الدول الإسلامية، ولكنهم لم يستطيعوا القيام بذلك نظراً للبداية الضعيفة لهم بدءاً من معركة كربلاء وعدم قدرتهم على نصرته الإمام الحسين، ومروراً بالدولة الأموية التي مارست ضغوطاً شديدة على الشيعة لدرجة أن أتباع الإمام الحسين بن علي لم يتمكنوا صراحة من النهوض بأداء الدعوة أو ممارسة أي أنشطة سياسية، وانتهاءً بالدولة العباسية التي مارست هي الأخرى ضغوطاً كبيرة على الشيعة ومنعتهم من ممارسة مذهبهم بحرية.

وعلى الرغم من ذلك ظهرت مجموعة من الأسر والتي حاولت نشر وترويج الأفكار الشيعية مثل آل بويه في إيران، العلويين في طبرستان، الفاطميين في مصر والإسماعيليين في إيران إلا أنها لم تتمكن من إضفاء الصفة الرسمية على المذهب الشيعي ليكون مذهباً رسمياً.

ومع بداية الهجمات المغولية على العالم الإسلامي ونجاحها في القضاء على الدولة العباسية أخذ الشيعة يتمتعون بحرية نسبية حيث سعى الشيعة إلى تشكيل حكومة شيعية في إيران تكون منطلقاً لنشر المذهب الشيعي في دول الجوار. وخلال القرنين السابع والثامن الهجري انتشر المذهب الشيعي في إيران وجميع المناطق الواقعة بين شمال سوريا والأناضول وحتى شمال العراق، وبدأت أفكاره تتبلور تدريجياً ولكنه في الوقت نفسه ظل بعيداً تماماً عن أجهزة ومؤسسات الحكم والخلافة. بعد القرن الثامن الهجري دخل كثير من مؤيدي المذهب الشيعي ضمن أتباع أسرة الشيخ صفى الدين الأربيلي (مؤسس الأسرة الصفوية).

ولقد انتشر المذهب الشيعي خلال تلك الفترة بصورة كبيرة، وهو ما استوجب بالضرورة ظهور أشخاص معارضين لهذا المذهب من الناحية الفكرية والعقائدية والسياسية.

يأتى على رأس هؤلاء الأشخاص ابن تيمية الذى كان معارضاً للفلسفة والتصوف والتشيع أيضاً، حيث كانت له حركة واسعة في هذا الصدد. وعلى

الرغم من أن تأثير ابن تيمية كان محدوداً بسبب توجهاته التي جاء بها إلا أنه ترك تأثيراً عميقاً في الأجيال التالية.

في القرن التاسع الهجري استولى العثمانيون على السلطة في جزء من بلاد العالم الإسلامي. ومثلت المشكلة الرئيسية التي واجهتهم آنذاك في الفرق الصوفية التي كانت تعمل بهمة عالية من أجل تشكيل وتكوين حركة سياسية خاصة بها. وفي أواخر القرن التاسع الهجري كان من أهم الأحداث الخاصة بالتصوف هو ذلك الحدث المرتبط بأسرة الشيخ صفى الدين الأردبيلي حيث غلبت عليها النزعة إلى الحرب ونهضت – بمساعدة أتباعها وأشياؤها – للاستيلاء على السلطة، وهو ما جعلها تدخل في صراعات وصدامات مع الأقوام المتفرقة آنذاك.

وبعد وفاة الشيخ صفى، تولى أمر هذه الأسرة كل من: خواجه على، الشيخ مفيد والشيخ حيدر. وقد قتل الأخيران – مفيد وحيدر – في الحرب مع الشروانشاهيين وبعد ذلك تمكن اسماعيل بن الشيخ حيدر من الوصول إلى السلطة بمساعدة أتباعه الذين توجهوا ملكاً رسمياً في تبريز.

بعد أن تمكن الشاه اسماعيل من الوصول إلى السلطة، أعلن أن المذهب الشيعي الإثني عشري هو المذهب الرسمي في إيران، وقد حذره أتباعه من معارضة السنة لوجود ملك شيعي، الأمر الذي جعله يتجه لاستخدام القمع ضد المعارضين من السنة الذين كان يتراوح عددهم بين 200 ألف 300 ألف مسلم سنوي.

ولذلك هاجر الكثير من علماء أهل السنة في عصر الشاه إسماعيل الصفوى من المناطق المركزية الإيرانية إلى ما وراء النهر، وكذلك ناحية نهر جيحون.

بعد الشاه اسماعيل وجه الملوك الصفويون من بعده الدعوة لرجال الدين والعلماء الشيعة الذين كانوا يعيشون في جبل عامل في لبنان للإقامة في الدولة الصفوية، وإقامة نظام إداري حديث.

من جملة الأنشطة والممارسات الأخرى التي حدثت في إيران على يد الحكومة الصفوية بهدف ترويج ونشر المذهب الشيعي نذكر ما يلي:

– إقامة صلاة الجمعة وفقاً للمذهب الشيعي.

– إسناد المناصب الرئيسية إلى علماء الشيعة مثل منصب شيخ الإسلام.

– حماية ورعاية الحوزات العلمية الشيعية التي تقوم على تربية وتنشئة الطلاب، ورعاية العلماء ذوي الاستعداد الخاص في هذا الصدد.

وفي عصر الشاه عباس الكبير (أعظم ملوك الأسرة الصفوية) حظيت مراقدة الأئمة باهتمام خاص بهدف ترميمها، وفي هذا الصدد يذكر ترميم حرم الإمام على بن موسى الرضا، وتوسعة حرم فاطمة المعصومة، كما كان الشاه عباس الكبير يحمي ويدعم مستشاريه من علماء ورجال الدين الشيعة الذين كان يختارهم وكانت الحنكة السياسية وكذلك التسامح والتساهل من جانب الشاه عباس الكبير تجاه جميع المذاهب بل وحتى

الأديان الأخرى مثل المسيحية، اليهودية والزرادشتية.. سبباً في تهيئة المناخ الملائم للانتشار والنمو الطبيعي للمذهب الشيعي.

وقد تميزت الدولة في ذلك الوقت بوجود نظام سياسي موحد، وتوفير الرفاهية للشعب وزيادة نمو الأفكار الفلسفية، وارتفاع معدل المعرفة، وقد كان كل ما سبق دليلاً على انتشار المذهب الشيعي في إيران

وعلى الرغم من أن إيران عاصرت ظروفًا صعبة مثل التعرض للهجمات المغولية ومظاهر الخراب والتدمير التي ارتكبتها التيموريون فإن وجود علماء مثل الشيخ بهائي، وميرداماد، وملا صدر الشيرازي كان له دور هام في بسط ونشر الفكر ولمذهب الشيعي في إيران.

نقلًا عن مختارات إيرانية – العدد 47 يونيو 2004